



في الفكر النهضوي الإسلامي

الكتاب العظمى نظراتٌ جديدةٌ في القُرآن

تأليف

محمد عبد الله دراز

تقديم

بمحمدي محمد ياسين

دار الكتاب اللبناني
بيروت

BIBLIOTHECA ALEXANDRINA
مكتبة الإسكندرية

دار الكتاب المصري
القاهرة

النَّبِيُّ الْعَظِيمُ

عَنِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ

وَالطَّرِيقَةِ الْمَشْرِائِفِ دَرَسِيَّةٍ

بقلم الأستاذ

مكي بن عبد الرحمن

مدرس التفسير والحديث بكلية أصول الدين

١٣٥٢ هـ - ١٩٣٣ م

صورة غلاف الطبعة الأولى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة المؤلف للطبعة الثانية

الجزء الأول من كتاب «النبأ العظيم» مولود جديد... قديم... جديد في مقطعه ونهايته، قديم في مطلعته وبدايته...

كان مسقط رأسه في الحرم الجامعي، منذ نيف وعشرين عاماً؛ ولكنه لم يبرز منه يومئذ إلا عنقه و صدره... أما أطرافه فلم تنشأ، وأما خلقه فلم يكتمل، إلا اليوم.

لقد شهد طلاب أمس بداية أمره، حين كان يُملئ عليهم نجومًا متفرقة، في فترات متلاحقة أو غير متلاحقة، وكانوا كلما اجتمعت منه صفحات معدودة لا تزيد عن عَقْد^(١) وبعضِ عقد، استعجلوا طبعها، وجعلوا يستحثون همة المؤلف لوضع لاحقتها.

(١) لا تزيد عن عقد: لا تزيد عن عشر صفحات، والعقد من العدد: العشرة والعشرون والثلاثون إلى التسعين. (هذا الهامش يشير إلى إضافة مراجعي مكتبة الإسكندرية للنص الأصلي للكتاب، وسوف يُستعمل الرمز (م) لاحقاً للإشارة إلى ذلك).

ثم أتت بعد ذلك شؤون^(١) حالت دون إتمام وضعه، بله إكمال طبعه، فَبَقِيَ القدر الذي طبع منه حبيسًا في دار الطبع، أو مقصورًا على الرعيل الأول من طلاب هذا البحث... حتى أذن العلي القدير - وكل شيء عنده بمقدار - أن يضيف المؤلف إليه اليوم خليّاتٍ أُخر، اكتمل بها قوامه، وأخذ بها أهبتة للخروج من نطاق الثقافة الجامعية، إلى فضاء الثقافة العالمية، لكي يتحدث إلى كل عقل واع ناقد، لا يأخذ ما يأخذ إلا على بصيرة وبينة، ولا يذّر ما يذّر إلا على بصيرة وبينة؛ وإلى كل وجدان تجريبي ذائق، لا يكتفي بالخبر عن المعاينة، ولا يستغني بالوزن عن الموازنة.

إنه حديث يبدأ من نقطة البدء...

(١) أمضى المؤلف في خارج القطر اثني عشر عامًا: من غرة ربيع الأول ١٣٥٥ إلى سلخ ربيع الثاني ١٣٦٧ هـ (مايو ١٩٣٦ - مارس ١٩٤٨ م) مبعوثًا من الجامعة الأزهرية إلى الجامعات الأوروبية. فدرس هناك بضعة ألسن من لغة أهل الغرب، وألمّ بمناهج علمائهم في البحث، ووضع باللغة الفرنسية رسالتين جامعتين: عن القرآن، وعن دستور الأخلاق في القرآن...

ثم أمضى تسعة أعوامٍ أُخر بعد عودته إلى مصر مشغولًا بشؤون علمية نيطت به على عجل من أهمها:

(١) محاضرات في علم تاريخ الأديان بكلية الآداب بجامعة القاهرة.
 (٢) محاضرات في فلسفة الأخلاق بقسم التخصص بالجامعة الأزهرية.
 (٣) تدوين محاضراته هذه وتلك وإخراجها في رسالتين باللغة العربية... على أن المؤلف ما زال في أثناء هذه المشاغل كلها يعاوده الحنين إلى إكمال هذا الجزء، وما برح في تلك الأثناء يتلقى من أبنائه وزملائه الرسائل تلو الرسائل لمتابعة هذا البحث، ولكنه لم يبسر له تحقيق بعض هذه الأمنية إلا الآن. وسبحان من لا يشغله شأن عن شأن.

فلا يتطلب من قارئه انصواء تحت راية معينة، ولا اعتناقاً لمذهب معين، ولا يفترض فيه تخصصاً في ثقافة معينة، ولا حصولاً على مؤهل معين، بل إنه يناشده أن يعود بنفسه صحيفة بيضاء، إلا من فطرة سليمة، وحاسة مرهفة، ورغبة صادقة في الوصول إلى الحق في شأن هذا القرآن...

وإنه إذا لواصل إن شاء الله.

في شعبان سنة ١٣٧٦هـ (مارس ١٩٥٧م).

محمد عبد الله دراز

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة المؤلف للطبعة الأولى^(١)

«الحمد لله» الذي فضلنا بالقرآن على الأمم أجمعين، وآتانا به ما لم يُؤت أحدًا من العالمين: أنزله هداية عالمية دائمة، وجعله للشرائع السماوية خاتمة، ثم جعل له من نفسه حجة على الدهر قائمة. والصلاة والسلام على من كان خُلُقُهُ القرآن، ووصيته القرآن، وميراثه القرآن، القائل «خيركم من تعلم القرآن وعلمه».

اللهم كما أعطيتنا حظًا من وراثته هذا الذكر الحكيم، فیسرَّت علينا حفظه وتذكره، وحببت إلينا تلاوته وتدبره، نسألك أن تجعلنا من خيار وارثيه، الذين هم بهدايته مستمسكون، والذين هم على حراسته قائمون، والذين هم تحت رايته يوم القيامة يبعثون، في جند إمامنا الأعظم، ورسولنا الأكرم، محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم، وعلى آله وأصحابه، وأتباعه وأحبابه.

«أما بعد» فهذه بحوث في القرآن الكريم، قدمتها بين يدي دروس التفسير لطلبة كلية أصول الدين بالجامع الأزهر المعمور، أردت بها أن أنعت كتاب الله بحليته وخصائصه، وأن أرفع النقاب عن جانب من الحقائق المتصلة به، وأن أرسم الخطة التي ينبغي سلوكها في دراسته.

(١) هذه المقدمة وضعها المؤلف لمسودة الكتاب الأولى التي طبعت للطلاب في عام (١٣٥٢هـ / ١٩٣٣م).

وقد راعيت في أكثر هذه البحوث شيئاً من التفصيل والتحليل، و شيئاً من التطبيق والتمثيل، فلم أكتف بالإشارة حيث تمكن العبارة، ولا بالبرهان إذا أمكن العيان، راجياً بذلك أن تنفتح لها عيون الغافلين فيجدوا نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم، وأن تشرح بها صدور المؤمنين، فيزدادوا إيماناً إلى إيمانهم.

ربنا أتم لنا نورنا واغفر لنا إنك على كل شيء قدير وبالإجابة جدير.

١٣٥٢هـ - ١٩٣٣م

محمد عبد الله دراز